٧

صورة المرأة في نماذج من أدب الدكتور جبير صالح حمادي النشري

The image of women in models from the literature of Dr. Jubair Saleh Hammadi, prose

إعداد الدكتور

غانم أحمد حسين

Doctor’s preparation

Ghanem Ahmed Hussein

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

ملخص البحث

يعتبر مفهوم الصورة من الموضوعات الهامة والكبيرة في النقد الأدبي، فمن خيال الكاتب هذا الخيال يجسد الواقع في كتاباته. لذلك فإن رؤيتنا أن الكاتب الذي ندرس أعماله نثر، يركز على صورة المرأة كإحدى أجمل الصور التي قدمها. كما أوضح المرأة في كثير من جوانب الحياة. وفي كل مكان نجدها تعبر عنها بشكل رائع. اثبت قداستها، أكرمها، امنحها الحق في الحياة وادافع عنها إذا وقع عليها الظلم ووقف الى جانبها اذا كانت ناجحة ومبدعة.

عندما درست صورة المرأة في روايات الدكتور جبير صالح حمادي وجدت العديد من الصور لنساء منهن نساء قيادات. والمرأة الحبيبة. والمرأة العاملة. والمرأة الجميلة.

Abstract

The concept of the image is one of the important and large topics in literary criticism، It is the imagination of the writer this fantasy embodies reality in his writings. Therefore، our vision is that the writer whose works we are studying are prose.focus on the image of the woman as one of the most beautiful images he presented. As he clarified women in many aspects of life. And everywhere we find it expresses it wonderfully. Prove her holiness، honor her، give here right to life and defend her if injustice befalls her and stand by her if she is successful and creative.

When I studied the image of women in the novels of Dr Jubeir Saleh Hamadi، I found many images of women from them leadership women. And beloved women. And working women. And beautiful women.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته المنتجبين.. وبعد

فإن مفهوم الصورة من الموضوعات المهمة والكبيرة في النقد الأدبي، فهو خيال يحدث لدى الكاتب فيجسد هذا الخيال حقيقة في كتاباته. لذلك نرى أن الكاتب الذي نحن بصدد دراسة نتاجة النثري ركز على صورة المرأة كواحدة من أجمل الصور التي قدمها، إذ صور المرأة في كثير من الميادين الحياتية. وفي كل مكان نجده يعبر عنها بصورة رائعة تثبت قداستها وتكرمها وتعطيها حقها في الحياة ومناصرتها إذا وقع عليها الحيف والظلم. ومؤازرتها إذا كانت ناجحة ومبدعة.

استعملت في بحثي الموسوم ب (صورة المرأة في نماذج من أدب الدكتور جبير صالح حمادي النثري) العديد من الأعمال القصصية والروائية للكاتب مثلا (مفكرة رجل أمي، البربري وخضراء العينين،أمنيات معطلة، اسراب القطا). وقسمته على العديد من الفقرات تسبقها مقدمة وتوطئة وتنتهي بخاتمة وقائمتي الهوامش والمصادر.

في الفقرة الأولى درست صورة المرأة القيادية. فهي امرأة صاحبة قوة إرادة وعزيمة. ودرست في الفقرة الثانية صورة المرأة الجميلة (الصورة الغزلية) فصور الكاتب هذه المرأة بروح وإحساس صادق نابع من مشاعر حقيقية وجميلة. ودرست في الفقرة الثالثة صورة المرأة الحبيبة وفي هذه الصورة جمع الكاتب كل أفكاره ليظهرها بأبهى الصور وأرقاها. ودرست في الفقرة الرابعة صورة المرأة الكادحة العاملة. فهي صورة للمرأة عزيزة النفس كريمة الطباع. التي لا تقبل الصدقة وترضى بالعيش الزهيد والقناعة المطلقة. ودرست في الفقرة الخامسة صورة المرأة المثقفة. فهي امرأة متعددة الجوانب. فقد أخذت من العلم جانب وأخذت من تجارب الحياة جانب آخر، فصار عندها رصيد من الخبرة تستطيع أن تتصرف مع كل المواقف التي من الممكن أن تتعرض لها. ودرست في الفقرة السادسة صورة المرأة البسيطة فهي امرأة فطرية عفوية تتعامل مع الأشياء بفطرتها وبساطتها مما أكسبها نوعا من العفة والجمال.

توطئة

صورة المرأة في الأدب العربي.

الصورة: لغة -ذكر صاحب معجم العين (الصور: الميل، يقال فلان يصور عنقه على كذا أي مال بعنقه ووجهه نحوه) (١)

وبين ابن منظور في كتابه لسان العرب مفهوم الصورة لغة بقوله (قال ابن الأثير الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته). (٢)

أما في الاصطلاح.

فقد شغل مفهوم الصورة فكر النقاد والباحثين قديما وحديثا. وذهبوا في تحديدها والوقوف على

أدواتها مذاهب شتى. فنجد الجاحظ مثلا (ت ٢٥٥) أول من حاول الوقوف على مفهوم الصورة وتحديده من العرب القدماء فيقول: (والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير) (٣).

نستنتج من هذا القول إن الجاحظ يضع الشكل في المرتبة الأولى. ويعطيه الأهمية الكبرى. لأن المعاني موجودة ومتناوله بين أيدي الباحثين والدارسين يستطيع أن يستقيها من أفكاره ومحيطه، وإنما الجهد والعمل يكون لجودة السبك وصياغة هذه المعاني والأفكار ووضعها في قالب خاص يتناسب ومضمونها.

وسار على نهج الجاحظ قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧) حين قال: (المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها ما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني في الشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة، وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفقة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة) (٤).

ومن هذا المنطلق نجد أن عناصر الصورة حاضرة في الفكر تؤدي دورا مهما في خلط الأفكار والعواطف التي لها الأهمية الكبرى في الكشف عن أصدائها العاطفية والأيديولوجية القائمة على درجة تلقي المتن السردي لدى القارئ.

أما بالنسبة للنقاد المحدثين فنجد أن الكثير منهم تحدث عن مفهوم الصورة. فمثلا الأستاذ أحمد الشايب (ت ١٩٧١) الذي يرى أن الصورة هي وسائل لنقل الأفكار من الأديب الى قرائه أو سامعيه (٥). ليوقظ النفوس ويهيج المشاعر إذ انها وسيلة للإفصاح عن الأفكار التي تداعب مخيلته ليبث أحاسيسه للقراء والسامعين ((فالصورة الأدبية لها معنيان، أحدهما أن يقابل المادة الأدبية، ويظهر فيها الخيال والعبارة، والثاني ما يقابل الاسلوب ويتحقق بالوحدة وهذه تقوم على الكمال والتأليف والتناسب)) (٦). وبهذا تكون الصورة عبارة عن قطعة واحدة يتوفر فيها السبك والانسجام والتناسق بين أجزائها. وبذلك انتهى الشايب الى أن الصورة الأدبية ترتبط بالمعاني اللغوية للألفاظ وبجرسها الموسيقي ومعانيها المجازية وحسن تأليفها معا. (٧).

المرأة في الرواية العربية.

أخذت المرأة دورا مهما وبارزا في الأعمال الأدبية عموما والروائية بوجه خاص. إذ وقف الأدباء وقفة إعجاب وإجلال وهم يشيدون بمكانة المرأة ودورها في بناء المجتمع وتقويمه. فلا يقتصر دورها على بناء البيت وتربية الأطفال وتكوين الأسرة، وإنما انطلقت

لتؤدي دورا فعالا في كل الميادين. وأثبتت جدارتها بتميز يفوق الرجل في كثير من الأدوار. فنجد هذا العمل كانت تؤديه المرأة منذ عصر ما قبل الإسلام. وحينما جاء الإسلام أيده وأقره فكانت منهن الطبيبة والمعلمة وقد تشارك الرجل حتى في المعارك.

لذلك انتبه الادباء الى هذه القضية ووظفوها في أعمالهم تمجيدا لدور المرأة في الحياة. إذ أن أمية المرأة في الحياة ليست كنصف المجتمع وإنما شريك حقيقي مساهم في بناء وإثراء التجربة الإنسانية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فضلا عن تربيتها للأجيال الناشئة بما في ذلك من دور مهم في بناء الحضارة الإنسانية لأنها طاقة بشرية هائلة.

فهذا التقدير يختلف من حيث اسلوب معالجته في الأعمال الفنية وهذا لا يتحقق إلا من خلال الشكل الفني وفاعلية توصيله ((فالأديب يواجه مهمة الإبداع الفني وهو يدرك أن شخوصه ذكورا وإناثا ينبغي أن تمتاز بخصائص إنسانية تحقق واقعية السلوك الإنساني وطبيعة التناقضات الجوهرية في المواقف المختلفة)) (٨).

ومن الادباء والروائيين الذين تحدثوا عن المرأة وشغلت حيزا كبيرا من أعمالهم الأدبية الشعرية والنثرية هو الروائي الدكتور (جبير صالح حمادي).

وقف (جبير صالح) عند المرأة مواقف متعددة ومتنوعة في أعماله الأدبية. فقدم صور مختلفة لهذا الجنس البشري المختلف. الذي أثبت جدارته رغما عن كل التحديات التي تواجهه. وخصوصا في المجتمع الشرقي والمسلم تحديدا. إذ يتوجب على المرأة أن تؤدي عملها بإخلاص وتميز وبشرط أن تحافظ على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ولا تخالفه. وهذا بحد ذاته تحد كبير تواجهه.

لذا حرص (جبير صالح) على تجسيد صورة المرأة المتحررة من القيود والتقاليد التي فرضتها المجتمعات الجاهلية على المرأة من أجل تخليص نفسها ومحاولة تغيير نظرة المجتمع المتمثلة باعتبار المرأة مجرد وسيلة أو وعاء للشهوة. وسلبها إرادتها وعمقها الر امرأة مشاركة في بناء المجتمع ولها دور ايجابي فيه. وإلغاء الفكرة التي تعبر عن المرأة الجسد أكثر من المرأة العقل. ومن هنا أصبحت المرأة رمزا فنيا زاخرا بالعديد من الدلالات وتنوعت صورتها في الروايات العربية ((ولهذا اهتم بها الشعراء والروائيون في أعمالهم وعبروا عنها في صور عديدة، لأن المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى ترتبط دلالة ورمزا ثريا موحيا عن الوطن)) (٩)

فنجد أن صورة المرأة تعددت أشكالها في أعمال الأدباء على مختلف العصور والأزمنة فالكاتب ابن بيئته يتحدث في نتاجه الأدبي عما يراه ويعيشه في مجتمعه من ظروف مختلفة في حالات الحروب نجده يجسد صورة المرأة الشجاعة التي تساند الرجل وتقف معه. فيقدم لها صورة ايجابية جميلة، وفي حالات السلم يصور المرأة من جانب آخر فهي الأم الحبيبة المعلمة الطبيبة وغيرها من الصور والمواقف التي مثلت المرأة وقدمتها للعالم بأروع الأشكال وأجملها.

لذلك عندما نقرأ أدب الدكتور (جبير صالح) نجد العديد من الصور للمرأة في الكثير من ميادين الحياة. مما يستحق الوقوف عنده ودراسته والتمعن فيه. ومن الصور التي وجدناها بارزة أكثر من غيرها ما يأتي.

أولا: صورة المرأة القوية الحكيمة

شاركت المرأة الرجل في جميع ميادين الحياة كما أسلفنا. وهذا يتطلب منها أن تمتلك شخصية قوية، ذات طابع حكيم يستقي مادته ويتغذى من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. وهذا ليس بجديد على سيرة المرأة فحينما نغوص في أعماق التأريخ نجد العديد من الصولات والجولات أخذت المرأة فيها دور البطولة.

سلط الكاتب الضوء في نتاجه الأدبي على صورة المرأة القوية صاحبة الشخصية المعتدة بنفسها التي تستطيع أن تتخلص من أصعب الظروف بمفردها دون الرجوع الى الرجل لمساندتها. ومن بين الشخصيات التي تحدث عنها الكاتب في مجموعته القصصية (مفكرة رجل أمي) قوله: ((وكان أشد ردود الفعل رسوخا في الذاكرة في ذلك الموقف كلمات حرة من حرائر العراق. كانت امرأة طاعنة في السن، سمراء مثل صفحة الهور عند المغيب. طويلة مثل نخلة باسقة هرمة، لم يمنع جفاف عودها أن يبقى بين سعفها مكان فسيح لأعشاش العصافير والحمائم. نهرت هذه المرأة البائع بضراوة لبوة جريح، وحكمة مربية، وعطف أم حنون. تدفقت كلماتها بنيران قوية كأنها تخاطب الأشرار الذين تخندقوا وراء أسوار الحصار، لم يرمقوا عراق العزة بعيون تفيض حقدا. كان مضمون كلامها أن الذي يحارب الأشرار كلهم جميعا ليس مسكينا ولن أنسى كلامها هذا الشعب (محسود) مو مسكين!

هذه واحدة من حرائر العراق.....نرى مثلها كل يوم بسيطة كل البساطة وعفيفة غاية العفة. وما أجمل كبرياء المتعففين)) (١٠).

نلحظ في النص دقة تصوير الكاتب لهذه المرأة البسيطة. وكيف أظهرت قوتها وشجاعتها الكامنة حينما تعرضت لموقف يتطلب منها النهوض والوقوف كلبوة جريح كما صورها الكاتب. فهي في الأماكن التي يتوجب عليها أن تكون امرأة بكل ما تحملها من معاني الرقة والإحساس والحنان نجدها تجسد دورها أجمل تجسيد وولكن عندما يتغير الموقف والحدث نجدها تتحول الى إنسان وشخصية أخرى بصفات وملامح مختلفة. امرأة قوية شجاعة صلبة تتعامل مع الموقف بحزم وجدية وحكمة مهما كانت شدة وقساوة الموقف.

والأمثلة على هذا النوع من النساء كثيرة في مجتمعاتنا العربية. وربما يعود السبب في ذلك الى الأحداث التي شهدتها والبلدان العربية من نكبات وغزوات وويلات وكوارث أودت بحياة الكثير من الرجال. لذلك توجب على المرأة أن تأخذ الدورين دور المرأة الأم المربية الحنونة ودور الرجل الصلب القوي الكادح في سبيل المحافظة على أبنائها ومبادئها وقيمها السامية.

ومن النماذج الأخرى التي ذكرها الكاتب في أعماله ما نجده في مجموعته (البربري وخضراء العينين) إذ يقول: ((غسلت قدح القهوة بعد أن فرغت من شربها – وهذا ليس من عادتي –

فضحك المعالج الشاب وقال:

لا تفرط في تدليل النساء.

فردت بريجيت بكلام بالألمانية، فقال لي مبتسما:

تقول السيدة فوكن تعلموا منه الرقة في التعامل مع النساء.

سرني ثناؤها الذي صار فاتحة لصداقة رائعة.

خصتني باهتمام وعناية. ولقد صادفتها مرة في الضاحية القريبة من المستشفى بعد انتهاء الدوام الرسمي، وهي تقود سيارتها، فدعتني الى جولة في المناطق القريبة. وبعدها وجهت لي دعوة الى زيارتها في البيت، وكان في مدينة صغيرة تبعد عن العاصمة ثلاثين كيلوا مترا، وأخبرتني أنها ستمر بي لتقلني، على أن نلتقي خارج العاصمة، لأنها لا تريد أن يراها أحد برفقة رجل غريب، لكون عائلتها من النبلاء الذين لهم تقاليد تميزهم.

استقبلتني والدتها، فقدمت لها الهدية التي اعددتها للزيارة، فقالت لبريجيت عبارة بالألمانية، ترجمتها لي، وهي:

حقا إنه ذو لباقة كما وصفته!)) (١١).

قدم الكاتب شخصية بريجيت على إنها شخصية قيادية في عملها ذات حكمة في ضبط تصرفاتها إذ إنها على الرغم من كونها شخصية أوربية مستغلة بعملها إلا إنها ملتزمة بعادات وتقاليد تعارفت عليها عائلتها. فهي تخاف أن تمس هذه العادات لكي لا تسيء الى سمعة العائلة. فهي شخصية قيادية تؤدي عملها بكل دقة واخلاص. حكيمة في حياتها وتعاملها مع الآخرين سواء في عملها أم خارج العمل. لذلك نلحظ أنها عندما أرادت أن تلتقي بشخص غريب دعته الى منزلها وأمام والدتها كما قرأنا في النص أعلاه. وهذا دليل على عفتها وكرم أخلاقها. التي لا تسمح لأحد من التقرب منها أو المساس بها. فهي امرأة ذات شخصية قيادية حكيمة في ضبط تصرفاتها وتعاملها.

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من الشخصيات ما نجده في مجموعة (مفكرة رجل أمي) أيضا إذ يقول الكاتب: ((أما الحكاية الأخرى ففيها نرى فتاة بدوية شابة اسمها (وحشية المشملية) تخرج قبل قرن من الزمان، صباح يوم ربيعي، لرعي أغنام أبيها المسن. قادت الفتاة القطيع نحو رابية معشبة. وحين اعتلتها لفت نظرها عدد من أكوام الحجارة البيضاء بارزة خلال العشب. سألت أحد الرعاة القريبين عن هذه الحجارة. فأخبرها أنها قبور فرسان من قبيلتهم سقطوا دفاعا عن أرضهم ضد قبيلة معادية. إنهم ستة عشر فارسا توسدوا الثرى في موقف بطولي! اغرورقت عينا الفتاة بالدموع، ورجت الراعي أن ينحر عند كل قبر شاة من قطيعها، ففعل ونحر من الشياه ست عشرة شاة وتغنت ببيتين من الشعر عاهدت فيهما الفرسان القتلى، نيابة عن القبيلة، على الوفاء لذكراهم، وتثمين تضحيتهم الجليلة)) (١٢).

موقف بطولي من فتاة شابة. حملها على فعل كل ما في وسعها تكريما للشهداء الذين ذهبوا دفاعا عن أرضهم وعرضهم. هذا الموقف البطولي لا يتكرر من المرأة الا في الحالات النادرة. فالمرأة يغلب على طبعها الرقة والحنان، ولكن في حالات خاصة تظهر فيها المرأة قوة وجرأة مختلفة تتناسب عكسيا والرقة التي تتميز بها. لذلك وقف الكاتب عند هذه الصورة موقف الإجلال والإكبار. وهو يسرد تفاصيل موقفها العفوي الفطري الذي ينبعث من نفس أبية بطولية. حملتها على تكريم هؤلاء الأبطال بنحر الشياه عند قبورهم. فقوة الشخصية تظهر في كيفية تعاملها مع الموقف الذي تتعرض له. إذ نلحظ أن هذه المرأة تعاملت مع الموقف بإسلوب صارم وحازم دون تردد أو خوف. وكأنها تعلم ماذا تريد وماذا تفعل.

ثانيا: صورة المرأة الجميلة (الصورة الغزلية)

يعد الغزل من أقدم الفنون الأدبية عند العرب لاتصاله الوثيق بطبيعة الانسان. فالغزل هو التغني بالجمال واظهار الشوق إليه والشكوى من فراقه. فهو فن شعري يهدف الى التشبب بالحبيبة ووصفها عبر إبراز محاسنها ومفاتنها. إذ يعبر عن احاسيس المحبين وانفعالاتهم وما تعكسه تلك الانفعالات في النفس من ألوان الشعور.

فعندما نقرأ الأعمال القصصية والروائية للكاتب (جبير صالح) نجد فيها الكثير من الصور التي عبر فيها عن المرأة ووصف محاسنها بدقة متناهية الجمال، وبتعابير بلاغية رائعة. فهذه المشاعر التي عبر فيها الكاتب عن صورة المرأة لا تطلق بالضرورة على المرأة الحبيبة التي سنتوقف عندها فيما بعد. ولكن هذه الاوصاف يعبر بها الكاتب عن إعجابه بأية جميلة ممكن أن تلتقي به. ومن النماذج التطبيقية على هذا النوع من النساء ما نجده في مجموعة (مفكرة رجل أمي القصصية) إذ يقول: ((ثلاث لمحات التقطتها مخيلتي في تلك اللحظات اللاهثة، في أثناء توجهي الى الطاولة وجلوسي عليها: جمال السيدة وأناقة زوجها المحفوفة بشيء كثير من الإبهار ثم طريقتها في تناول (الآيس كريم)، طريقة تفيض رقة ودلالا، ولطالما حاولت بعد ذلك اليوم. ولمدة طويلة أن ارتقي الى مستوى ذلك الأداء الفني في تناول (الأيس كريم)، فكنت أغلق باب المكتب، وأقف أمام المرآة ممسكا قدح المرطبات، مستذكرا ومقلدا حركة يدها وهي ترتفع بالملعقة الى الفم، وانعطاف رقبتها وميلانها، وفمها وهو يتهيأ لارتشاف قطعة المرطبات الصغيرة، ولم أفلح، ولو لمرة واحدة،لأن قانون الأجناس البشرية ثابت الاحكام. ويبدو انه أقر قواعد للسلوك لا يجوز لأمثالي تخطيها تحت أي ظرف..... صحيح انه يبدو موسرا، ولكنه ريفي قبل كل شيء، وهي حضرية، تفيض بهاء وأناقة وزينة صحيح أنها تضع على رأسها شالا، احتشاما ووقارا، ولكن رقة هذا الشال ولونه وطريقة ارتدائه جاءت بنتيجة مخالفة تماما. كان شفافا يشي بلون شعرها وجمال تسريحتها. ترتدي تنورة زهرية اللون و(تي شيرت) أزرق غامقا بنصف أكمام)) (١٣).

لوحة فنية رسمها فنان ماهر. هذا ما أطلقه أنا بوصفي باحث على هذه القطعة من النص. فنلحظ دقة التصوير، ورونق العبارة البعيدة عن التكلف والتزويق. فهي عبارات تخرج وتتدفق كتدفق المياه في الأنهار. لا تعقيد ولا اجتهاد في تركيبها.

فالكاتب في هذا النص لا يصف محبوبته ويبين لواعج الحب والهيام تجاهها. فكما رأينا في النص يصف امرأة مع زوجها. ولكن يصف الجمال الذي تحمله هذه المرأة. فيثير اعجابه وانبهاره من حسنها. فنجد أن الكاتب تغني بالجمال الخارجي للمرأة دون الغوص في أعماق مكنوناتها الداخلية ومشاعرها وأحاسيسها.

ومن الصور الاخرى التي وصف فيها الكاتب المرأة الجميلة ما نجده في مجموعة (مفكرة رجل أمي) أيضا إذ يقول: ((رأيت بينهن يوما وجها جديدا يفيض بشرا ونضارة. كن باديات الاهتمام بها، والفرح بوجودهن قربها.. تألقت في ذلك اليوم كما لم اتألق سابقا. حلقت في أعالي السماء، وسبحت في الغيوم،وتردد صدى صوتي في أبعد المجرات. كن يلتفتن إليها في أثناء حديثي، وكأنهن يسألنها: ألم نقل لك ؟

كانت حريصة على أن لا يفوتها شيء من الحديث، بقدر حرصي على شد انتباهها. وأفلحت فشددت انتباهها، ولكني بالمقابل شددت نفسي اليها... ولم أعد أحس بوجود الأخريات. ان في عينيها، وفي حديثها، وفي تصرفاتها شيئا خرافيا، لا أستطيع وصفه، أو احتماله، وذهلت. وضحكت كثيرا وأنا أتذكر كلمات المرحومة والدتي، توصيني ب (العكل والثكل))) (١٤).

توجد أنواع عديدة ومختلفة للجمال في الحياة منها الطبيعة الجميلة والبيت الجميل وغيرها من الأشكال التي يمكن أن توصف بأبهى الصور وارقاها. ولكن عندما يتجسد الجمال في إنسان وامرأة على وجه الخصوص يكون الوصف مختلفا تماما. لأنه يكون نابعا من كنه الإنسان. وصف يحمل بين طياته الكثير من المشاعر والاحاسيس وربما الألم والحرمان الذي يعاني منه الواصف. فيخرج صادقا نابعا من القلب ليعبر عن دواخله واحاسيسه.

ومن الصور الأخرى التي رسمها الكاتب للمرأة الجميلة ما نجده في رواية (أمنيات معطلة) إذ يقول: ((كانت ظبية في ثياب امرأة. وتفرض التقاليد والسياقات اللغوية أن اكمل الوصف فأقول مثلا: ظبية شاردة.نعم انها ظبية شاردة من الفردوس. ظبية فاتت أبا العلاء المعري للإشارة لها في رسالة الغفران. ولكان لو ذكرها سيضع مقياسا جديدا لدخول جنة رسالته، التي أحيا تسامحه في شروط التمتع بطبيعتها آمال العصاة العصاة في المغفرة. ولكان حين يسأل أي واحد من مريدي هذه الطبيعة وعشاقها. بم غفر لك فدخلت الجنة ؟ سيجيب ! بما لقيت من آلام الصبابة ولوعة الانتظار. ومما زادها ألقا انها اتشحت بالسواد، مثل جدتها، أو جدتنا التي عرضت لزاهد مسكين، وهو في طريقه الى المسجد فأنسته الوضوء.

كانت قد تجاوزت سن الشباب، مما عجل بأن نال شرف الانتساب الى قائمة ضحايا السعداء. ان شيبي يحول دون اندفاعي أو استسلامي الى أعاصير الجمال التي تثور بين حين وآخر.

أحسست أن يدها ارتفعت موحية بأنها تريد أن تسأل، فأمعنت في التجاهل خشية أن ينهار آخر حصن في دفاعاتي، فسمعت لحنا موسيقيا تصاحبه بعض المفردات.

أستاذ أتسمح بسؤال ؟

أجفل مروان بعد أن أجفلت بثانية واحدة، ثانية كانت كافية لأن تفعل بذور الإثرة والأنانية الكامنة في أعماقي فعلها، فأسرع لأنال السبق وكل ذرة في جسمي تصيح لبيك.

بكياني كله جسماً وروحاً انصرفت إليها متعطشا لسماع السؤال انسابت الموسيقى ثانية، ناعسة حالمة:

أستاذ ! لا أفهم مغزى هذا السؤال.)) (١٥).

عبر الكاتب في النص أعلاه عن صورة من صور النساء الجميلات اللاتي التقاهن في حياته فانبهر بجمالهن وفتن. فأخذ يتلذذ بصورتها دون أن تعلم بهذا الهيام والوله الذي أصابه

فيبين الكاتب للقارئ مشاعره وأحاسيسه تجاه هذه المرأة التي لم ير مثلها أو شبهها قط. لذلك يبث الشكوى والألم للقارئ عسى أن يجد عنده المواساة.

ثالثاً: صورة المرأة الحبيبة

خلق الله سبحانه وتعالى الرجل وجعل له أنيسا لوحشته من نفس إنسانيته وآدميته. الا وهي المرأة، فجعلها الله سبحانه وتعالى قرينا للرجل باتصالهما مع بعضهما تستمر الحياة وتدوم. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)) (١٦). فالقرآن الكريم يرفع مكانه المرأة ويعلي من شأنها. فقد جعلها الله جل جلاله في مستوى الرجل في الخطوة الانسانية الرفيعة، حينما كانت في كل الأوساط المتحضرة والجاهلة مهانة وضيعة القدر لا شأن لها في الحياة. فجاء الإسلام وأخذ بيدها وصعد بها الى حيث مستواها الرفيع الموازي لمستوى الرجل. فقال تعالى: ((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)) (١٧)

. وقوله تعالى: ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)) (١٨).

أما في السنة النبوية المطهرة فالأحاديث على هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة لا يمكن سردها في هذا الموضع ولكن سنكتفي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ((خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلي. ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)) (١٩). إذ حث النبي صلى الله عليه وسلم على إكرام المرأة ومعاملتها بالرفق واللين سواء كانت أم أم أخت أم زوجة أم أي امرأة أخرى.

أما في الشعر فقد تغنى الشعراء كثيرا بالمرأة الحبيبة، والبكاء على الأطلال من أشهر وأروع مقدمات الشعر وخصوصاً الشعر الجاهلي. ففي معلقة أمرئ القيس نجد أجمل الأمثلة على هذا الموضوع. إذ

يقول: (٢٠)

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

أغر مني أن حبك قاتل وإنك مهما تأمري القلب يفعل

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

والشعر العربي يزخر بهذه الأوصاف للمرأة الحبيبة. وسنكتفي بأبيات (جرير) إذ يقول عن المرأة. (٢١)

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب ثم لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

أما من الجانب النثري الروائي والقصصي وهو موضوع بحثنا. فنجد أن الكتاب أولوا هذا الجانب أهمية كبيرة في أعمالهم. ونتاجات الكاتب (جبير صالح) زاخرة بهذه الصورة للمرأة الحبيبة. فمن النماذج التي ذكرها الكاتب ما نجده في مجموعة (مفكرة رجل أمي) إذ يقول: ((طال انتظاره، وازدادت آلام الانزلاق حدة، فوضع الكتاب الذي كان يقرؤه جانباً، واعتدل في جلسته، أراد النهوض، لعل الألم يخف قليلا، وفجأة سرت في بدنه قشعريرة حادة، واندفعت دماؤه كلها الى وجهه مكتسحة كل ما تراكم في أوعية دموية من ركام الزمن. إنها هي بكل تأكيد !! ليس في الوجود امرأة تمتلك مثل هاتين العينين اللتين لم يحجب زجاج النظارة جمالها الا هي. لقد نسي لون عينيها، ولكنه لم ينس اكتساحهما كيانه في كل رفة جفن. كانتا دنياه، ثم صارتا – وما تزالان ملاذه – هل هذه اللحظات من بنات دنيانا أم هن من وحي الخيال ؟ أبعد كل هذه السنين يجد (منى) ؟ إنها تأريخ عجيب....بدأ عناءً وانتهى ألماً !

لم يتسن له أن يقول لها كلمة واحدة، ولكنه بث في جوف الليالي أحاديث عنها بعدد ما في الكون من نجوم. لم يزد ما بينهما على نظرات اقترنت فيها حرارة المشاعر بالبراءة، وكان حياؤه فيها لا يقل عن حيائها.

أعلن لأهله عن رغبته في الزواج منها، فزمجر أبوه. واختار له ابنة عمه، فأذعن باكياً.....وهنأه الأتقياء بالفوز، وذكروا له قصوراً في الجنة أعدت للطائعين. كان حين تعتصره الحياة يلجأ الى طيفها، ويبكي مستتراً بظلام الليل)) (٢٢).

بث الكاتب في هذا النص نفثات روحية ولواعج نفسية كانت مكبوتة في داخله. إذ قدم للقارئ صورة كاملة للألم والمعاناة التي ألمت به في سبيل محبوبته التي حرم منها بسبب عادات وتقاليد بالية ما أنزل الله بها من سلطان. فنلحظ كيف بقيت صورة وجهها وتفاصيل عينيها محفوظة في ذهنه وعقله مهما مرت عليه السنين. وعاش في طيفها وخيالها مدة طويلة إذ على الرغم من زواجه حسب رغبة والده إلا أن الحب الحقيقي لا يمكن إزالته بسهولة. فهو أمر لا ارادي متعلق

بالقلب. ولا يمكن السيطرة عليه. فتبقى المشاعر والاحاسيس خالدة في النفس مهما تقدم عليها الزمن ومضى. تتعلق النفس بكل ذكرياتها وتفصيلاتها، وتعود إليها كأنها وليدة اللحظة عندما ترى أي شيء يتعلق بها. لذلك قدس الله سبحانه وتعالى هذه العلاقة الشريفة الطاهرة بين الرجل والمرأة في القرآن الكريم بقوله (وجعل بينكم مودة ورحمة) (٢٣). إذ لم يكتف الباري عز وجل بالمودة والحب بل جعل بينهما الرحمة لتدعم هذه العلاقة وتشد٢ أركانها.

ومن الأمثلة الأخرى على صورة المرأة الحبيبة ما نجده في مجموعة (مفكرة رجل أمي) القصصية. إذ يقول فيها: ((نالت نعيمة اهتمام عدد غير قليل من رجال الحي، وتفادت بغض نسائه بابتسامتها العذبة، وحلاوة روحها، واستعدادها الدائم لتقديم كل خدمة ممكنة.

وهي تمثل الأنوثة الفطرية مؤطرة بإطار من البساطة واللطف والمكر والمرح. فارعة القوام، رشيقة مثل شجرة الموز، جميلة الوجه. تزوجت في الخامسة عشرةً من عمرها مكرهةً من ابن عمها الفض البليد (جاسم مرهون). قبل أن تتزوج شاركت أباها البيع في محل الخضروات الذي يملكه. واعتادت أن ترى نظرات الاعجاب في عيون الزبائن والباعة المجاورين. تودد إليها وخطبها الكثير من أصحاب المحال في السوق، إلا أن ابن عمها جاسم، بسماجته واستماتته قتل آمال الطامحين..... وفجأة رأيت نعيمة قادمة مثل شجرة باسقة تداعبها نسمات الربيع، وكلمات ازدادت اقتراباً ازداد الحاج انشغالا عني حتى نسيني تماماً.

صباح الخير.

ورددنا معاً. وبصوت واحد مثل طلاب المدارس الابتدائية وهم يردون على تحية المعلم. صباح الخير.

اتكأت على المنضدة التي يجلس خلفها، ومالت بصدرها نحوه مقتربة منه، فشحب لونه.

– هل طلبت أن تراني ؟

– أنا ؟ آ... آ... نعم، لأطمئن عليك، وأسأل عن صحتك.

فاعتدلت في وقفتها، وارجعت طرفي عباءتها الى الخلف،ونظرت في عينيه مبتسمة وقالت:

ماذا ترى ؟

فغض من بصره، ولم يجب.

لا يا سيدي... لا تسكت حيث لا ينبغي السكوت.... أسمعها ما تحب أن تسمع، وتغن بآيات الجمال التي تراها قبل أن يفلت الطائر من بين يديك.

التفتت إلي وقالت: كيف أنت وكيف الوالدة ؟

وظننت أنها تسأل عن الوالد، فقلت لأداعب الحاج: بخير، وطلب مني أن أهديك (أشواقه).

– إنما أسألك عن الوالدة وليس الوالد.

ثم أكملت من خلال ابتسامة ماكرة وهي تجاريني في مداعبة الحاج: ولماذا يطلب منك أن تهديني أشواقه، وهو يفعل ذلك كل صباح ؟)) (٢٤).

تحدث الكاتب في هذا النص عن شخصية (نعيمة) المرأة الجميلة. صاحبة الدلال والغنج.

فنلحظ كيف بدأ بوصفها وصفاً دقيقاً وهو متعطشاً ومتلهفاً. وفي قلبه حرقة وألم من حبه لها. إذ كانت (نعيمة)تشكل حالة خاصة في الحي الذي تسكن فيه. فهي تحمل العديد من الصفات. تمزج بين العفوية والبساطة والمكر في كسب قلوب الرجال. فهي تحب أن تملك قلوب الجميع دون أن تخص أحداً منهم بمميزات منفردة. لذلك نقل الكاتب صورتها الى القارئ برسالة تحمل بين طياتها الشكوى من هذه الحالة الخاصة. وكأنه يطلب منه تفسيراً وتحليلاً نفسياً تتعامل معها. والتفرد بهواها.

رابعاً: صورة المرأة الكادحة العاملة

كان للنساء العاملات نصيب وافر في أدب ((جبير صالح)). إذ تتبع حياتهن وخصائصهن وما يتمتعن به من قوة الشخصية ومساندة الرجل في كثير من الأعمال الشاقة كالزراعة والتجارة وغيرها من الأعمال. وربما كان السبب الذي يدفع الكاتب الى التركيز على هذا الصنف من النساء، هو اصوله التي ينحدر منها. إذ ينحدر الكاتب من مناطق القرى والأرياف. لذلك نلحظه كيف أبدع وأجاد في وصف نساء هذه القرى وما يتميزن به من سمات وأدوات تمكنهن من العمل دون الشكوى والضجر. ومن الأمثلة على هذه المرأة ما نجدة في مجموعة (مفكرة رجل أمي) القصصية إذ يقول فيها: ((في صباح اليوم التالي استيقظت لميس مبكراً، تفيض حيوية، واتجهت الى الحقول، حيث انتشر عدد من نسوة القرية، ليجمعن المحاصيل، والحشائش للحيوانات. وتبعتها مسرعا، خوفاً من المفاجآت. أسرعت أختي زهرة، وبيدها المنجل مرحبة، واقتادتها بين الزروع، ولميس تتفحص الحزام الصوفي الطويل المزركش، الذي تضعه على وسطها.

– الشويحي.

– نعم...لقد نسيت إني اتحدث الى قروي مثلي. المهم...

وقفت غير بعيد خائف أترقب. وسمعت زهرة تنادي إحدى بناتها، تطلب منها شيئاً فتسرع الفتاة راكضة مبتسمة، لتعود بعد قليل، وهي تحمل صرة، فتحتها واخرجت منها ثوباً فضفاضاً و(فوطة) و(جرغد). وأخذت هي وأمها تساعدان لميس على ارتداء الثوب فوق ملابسها ووضع أغطية الرأس. فأسرعت نحوهن لأسمع لميس تقول، وهي تشهق فرحاً بعد الحويشي.

فقالتا باسمتين بصوت واحد: الشويحي... الشويحي مو الحويشي. ناولتها إحدى النسوة منجلاً، وأخذت زهرة تعلمها كيف تستخدمه. وتحلقت حولها قريباتي، وكل منهن تبدي ملاحظة، أو تصحح وضعاً ولا أدري كيف شاع الخبر في القرية، إذ تجمع كل الرعاة، على غير عادتهم في تلك البقعة، وهم يختلسون النظرات الى الفلاحة الغريبة)) (٢٥).

نلحظ في النص أعلاه كيف نقل الكاتب صورة المرأة الريفية. فصور العادات والتقاليد وطبيعة العمل الذي تقوم به تلك المرأة الأبية. فتكون محطة إعجاب وانبهار لكثير من الأشخاص الذين يسكنون المدن والحياة الحضرية. فهم لا يفهمون السر وراء انشغال

هذه المرأة في عملها وهي في قمة السعادة والفرح. إذ أن في حياة القرى والأرياف الكثير من المتعة والزهو الذي لا يمكن احتواءها واستيعابها والكشف عن مكنوناتها الا من عاش فيها وأحبها واندمج في مجتمعاتها. لذلك نرى هؤلاء النسوة يؤدين عملهن بكل اخلاص وجد. فنجد أن هذه المرأة متعددة الهوايات. تعمل العديد من الأعمال إضافة الى عملها في الزراعة والرعي.تعمل في البيت فتكون العائلة وتربية الأطفال وغيرها من الأعمال. والأمثلة على ذلك كثيرة في حياتنا. إذ رأينا الكثير من المزارعات خرج من بين أيديهن العلماء من أولادهن علماء في مجال الطب والهندسة والآداب والقانون وغيرها من العلوم. لهذا نرى أن هذا النوع من النساء قد أودع الله فيه قوة خارقة تستطيع بها تحمل كل أعباء الحياة ومشتقاتها.

ومن الأمثلة الأخرى على المرأة العاملة ما نجده في مجموعة (البربري وخضراء العينين) القصصية. إذ يقول الكاتب فيها: ((إنها حكاية أرملة كادحة، اسمها (وحيدة) – مصغر (وحيدة) تعيل خمسة أطفال أيتام.

كانت تكسب رزقها في مطحنة حبوب في مدينة تابعة لمحافظة الأنبار. تتولى مناولة أي شخص يقف قرب فوهة ماكنة الطحن علبة صفيح، تملؤها بالحنطة ليلقيها ذلك الشخص وفي آلة الطحن. وطبيعة العمل تلزمها أن تكون في موضع تحت العامل، الذي يقف على لوح خشبي طويل (دراب)، فترفع إليه الصفيحة بكلتا يديها، فينحني هو ليتناولها.

إعتاد البدو أن يتعاملوا مع صاحب هذه المطحنة، فيطحنوا ما يبتاعونه من حبوب عنده، فيعتلي أحدهم (الدراب) ووحيدة تناوله صفائح الحبوب، وهي تصب عرقاً

وفي ذلك الزمن القديم، لم يكن معتاداً ولا متاحاً للناس لبس الملابس الداخلية

الكل يرثي لشقاء وحيدة، يكبر صبرها وعناءها وكفاحها من أجل لقمة العيش الشريف. لم يكن لديها شيء تحسد بسببه الا الصبر والعفة. لذا فقد فوجئ جلساء أحد وجها المدينة حين قال: لا أحسد الا وحيدة، إذ لم يبق بدوي الا ورأت عورته.)) (٢٦).

صورة أخرى جسدها الكاتب للمرأة الكادحة. فشخصية (وحيدة) انموذجاً للمرأة الكادحة العاملة. المجبرة على العمل من أجل رعاية أولادها الأيتام. لذلك نجدها تتحمل أشقى أنواع العمل لأجل توفير لقمة العيش لأولادها الذين انقطعت بهم السبل في معترك الحياة الآسن. فهي تعمل لهدف يبعث في نفسها القوة والعزم. وهو تربية أولادها ورعايتهم.

لذلك نرى أن هذه المرأة وقوة شخصيتها وكيفية تعاملها مع أنواع الرجال على مختلف مستوياتهم. صورة طيبة للمرأة العفيفة الكادحة. أخذت على عاتقها القيام بدور الأب في القوة الصرامة. ودور الأم في الرقة والحنان والرحمة. من أجل المحافظة على عائلتها من الضياع والشتات. هذا النوع من النساء يجب الوقوف عنده وتمجيده. ليس في الكتابات فحسب بل فعليا على أرض الواقع. يجب أن تكرم هذه

المرأة وتحترم لأنها صبرت وكافحت للقيام بواجباتها كأم أولا وكأب ثانياً.

ومن الأمثلة الأخرى على صورة المرأة العاملة ما نجده في مجموعة ((مفكرة رجل أمي) القصصية إذ يقول الكاتب فيها: ((أسلمت كثيرات من نسوة حينا وجوههن الى نصرة الحفافة، بحثاً عن صورة أكثر إشراقاً. وكن سعيدات بالنتائج، سواء منهن من تستعمل (الد يرم) أو أحمر الشفاه.

تمتلك نصرة زيادة على الكفاءة المهنية روحاً شفافة مرحة، جعلتها تمارس مهنتها بروح الهواية لا الاحتراف، فكثرت صداقاتها، وامتدت الى أغلب بيوت الحي.

وحين أتذكر تأريخها الآن، أستطيع القول أن حفلات الأعراس كانت في نظرها مثل حفلات انتخاب ملكات الجمال... وإنما هي لا غيرها، المرشحة الأوفر حظاً. لا غبار على إبداعها في عملها، فهي تتفنن في تزيين العروس، كلما ازدادت العروس تألقاً، وازدادت هي إصراراً على الفوز. فبعد أن تنتهي من تزيين العروس تتفرغ لنفسها بمساعدة صديقتها الأثيرة (مريم الحمرة) وما حفلات الأعراس الا فعاليات تمهيدية وصولا الى حفلات الختام... يوم السبعة الذي اعتادت نصرة أن تبدو أكثر إشراقاً وتألقاً، وهي المشرقة المتألقة دوماً فترتدي (الهاشمي)، وتمشي مشية الدلال والغنج)) (٢٧).

صورة أخرى من صور النساء العاملات. سلط الكاتب الضوء عليها ووقف عندها. صورة للجمال من نوع آخر. إذ اتخذت هذه المرأة من تزيين النساء عملا لها. وأجادت فيه وأتقنته. بحيث لا تستطيع أي امرأة الاستغناء عنها وخصوصاً في المناسبات. إذ من طبيعة المرأة أن تكون عاشقة للجمال بصورة عامة. ولتزيين نفسها لتبدوا أكثر أناقة وإشراقاً بصورة عامة.

لذلك وقف الكاتب عند هذه المرأة. وطبيعة عملها محاولاً إظهارها بصورة جميلة للمتلقي. فهي امرأة مميزة تثير الدهشة والولع في نفس كل من رآها وسمع عنها – لمكانتها الكبيرة في نفوس النسوة اللاتي يعرفنها. إذ إنها لا تقف موهبتها عند تزيين النساء فحسب وإنما تقوم بإظفاء نوع من البهجة والسرور في أي مكان تكون فيه.

ومن الصور الأخرى للمرأة العاملة ما نجده في مجموعة (البربري وخضراء العينين) إذ يقول الكاتب: ((واحدة من هذه الأرواح. هي مسؤولة قسم العلاج الطبيعي في مستشفى الجامعة. ترافق رئيس الجراحين البروفيسور (روسلر)الذي اعتاد ان يزور مرضاه مرتين في الاسبوع متفقداً، وبصحبته مساعداه البروفيسور (هوفمان) والدكتور صالح، العربي الفلسطيني.

شقراء في الاربعين من عمرها، فارعة القامة، أقرب الى عالم الأمومة. يغلب عليها الجد والالتزام في طريقة كلامها وتصرفاتها وملبسها. وكانت تزورنا مرتين أخريين

اسبوعيا. ومعها واحد أو اثنان من موظفي القسم، الإشراف على تنفيذ برنامج العلاج

الطبيعي..... ولقد دعتني الى شرب قدح من القهوة في مكتب صغير ملحق بقاعة العلاج. شاركنا الجلسة زميلها المعالج ويريجيت فوكن التي لم تتغير عما هي عليه حين ترافق البروفيسور روسلر وقاراً ورصانةً)) (٢٨).

انموذج آخر للمرأة العاملة المجتهدة رصدها الكاتب وقدمها للقارئ ليبين له مدى قوة المرأة وحرصها على إداء واجباتها بكل دقة وحرفية وإخلاص. فهي في كثير من المواقف والاعمال تقاوم الرجل وتتفوق عليه بذكائها وإخلاصها. وهذا ما رأيناه في صورة الكاتب التي نقلها عن المرأة التي تعمل في المستشفى وانبهاره من ممارسة عملها واخلاصها وتفوقها فيه تحت أي ظرف دون تكلف أو خوف من مراقب. لأنها تحب عملها وتتقنه لذلك أبدعت فيه.

خامساً: صورة المرأة المثقف

شغلت شخصية المثقف بال النقاد قديماً وحديثاً. وذهبوا في تحديدها وتعريفها مذاهب شتى. فعند الحديث عن المثقف. لابد أن نقف عند الثقافة وماهيتها. فالثقافة هي ((ذلك الكل المركب الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن والتقاليد والعادات والقدرات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع)) (٢٩). إذ هي بناء متكامل يشمل جميع مفاصل الحياة. إذ لا تنتمي الى جهة معينة أو جزء معين فهي قضية ذات بعد إنساني اجتماعي يعيشها الشخص في المجتمع الذي ينتمي اليه بكل تفصيلاتها.

أما المثقف فهو شخصية إنسانية تتسم بتفردها عن الآخرين، إذ لا يمكن فهم أفكاره والمؤثرات التي صاغت مواقفه لا بالكشف عن حياته الخاصة والغوص في اعماقها. (٣٠). لأن في حياته الخاصة ((يكون أقرب الى التجرد من كل المحاميل الفكرية التي يرغب أن يعرفه الناس بها، وان كان في وسعه أن يكيف نمط حياته العامة وفق مواقف ورؤى يتبناها وينادي بها، فإن المطلع على حياته الخاصة في الغالب يفاجأ بشخص منفصم عن ذلك الذي يظهر به أمام الآخرين)) (٣١). وقد عرف الدكتور (مساعد بن سعيد آل بخات) المثقف بقوله ((هو الشخص الذي لديه القدرة على التفاعل والتعامل مع الأفكار والثقافات المختلفة)) (٣٢). فالشخص المثقف هو الذي لديه القدرة على التعامل مع جميع الأشخاص على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم ومعتقداتهم.

ومن الأمثلة التي أوردها الكاتب (جبير صالح) في اعماله لتدل على هذه الشخيصة ما نجده في مجموعة (مفكرة رجل أمي) القصصية إذ يقول: ((هي الإبنة الوحيدة لعائلة ثرية. أبوها صاحب معمل كبير للحلويات، وامها انموذج يقتدى به للحلويات الفاخرة، عاشت مدللة، واعتادت أن تنال كل ما تريد. وكانت سعادة أبيها في أن يوفر لها ما تريد،

ويبدو أنها اعتادت أجواء الترف والنعيم، فبدأت تتطلع الى عوالم مجهولة قرأت عنها في الغلب.

الريف في تصورها خيمة من الشعر وناقة يركبها محارب ممشوق القوام، غازياً تارة، أو قاصداً عين

ماء تارة أخرى، حيث يلتقي محبوبة نجلاء العينين. على هذه الركائز نظمت ملحمة خيالية أنشدتها على أسماعها، متأنياً نشوان، مثل راع يعزف في المرعى على المزمار.

انبهرت وهي تسمع قصص جدي وانتصاراته، فراحت تسألني عن أوصافه وهل يشبه أبطال الملاحم الذين تراهم في الأفلام ؟

وأبدت إعجابها الشديد برقته ورومانسيته – وهو المحارب العنيد – حين علمت إنه اعتاد أن يهدي جدتي في كل عيد من أعياد ميلادها ناقة بيضاء، وتسمى محلياً (وضحة)، وقالت:

– كم اتمنى أن يهدي لي والدي (وضحة) في عيد ميلادي !

– أنا سأهدي لك واحدة في هذا اليوم السعيد، إن كان عندكم مكان لها في البيت ز

–إن حديقتنا واسعة جداً، ونستطيع أن نحفر لها بئراً إذا لم يعجبها أن تشرب من حوض السباحة.

– إن حوض السباحة مناسب جداً لها.

وبدأنا نقترب من بعضنا شيئاً فشيئاً. وأحسست أن وردة جميلة قد تفتحت، وبدأنا نثمل بعرف شذاها)) (٣٣).

لوحة فنية جميلة ورائعة قدمها الكاتب للقارئ. وهو يصف صورة لهذه المرأة المثقفة المتعلمة. التي لا تعرف عن حياة الريف والقرى أي شيء. فهي بنت مدينة ولدت وعاشت في أجواء وبيئة مترفة، ليس لديها تصور عن الحياة الريفية الحديثة. التي باتت تشبه حياة المدينة في كل تفصيلاتها، فكل ما تعرفه عن الريف، هو الصحراء الرملية الواسعة، والإبل، وبيوت الشعر المتنقلة. لذلك ركز الكاتب على فطريتها وطبيعتها التي لا تعرف الغل والحقد والأنانية. فهي تنظر الى المحاور لها بإعجاب شديد وهو يصف الشخصية الريفية وتقلباتها بين الحدة والرقة والقوة والخشونة. فالقارئ عندما يقرأ النص يتشوق لمعرفة نهايات القصة. وما ستؤول إليه الأحداث في خواتيمها. لذلك أضفى الكاتب عنصر التشويق والمفاجئة على مجريات الأحداث.

ومن الأمثلة الأخرى للشخصية النسوية المثقفة ما نجده في مجموعة (البربري وخضراء العينين) القصصية. إذ يقول الكاتب: ((في أثناء حديثه نهضت إيفا. وراحت تسوي قميصها الزهري فوق بنطلونها الأبيض، فأمسك هانس بيدها، وسألها:

الى أين ؟

– سأحضر أغراضنا التي تركناها على طاولتنا تلك.

تنبهت على رشاقتها وتناسق قوامها، وجمال شعرها المنساب فوق ظهرها.

لا بد وراء هذه (الميانة) شيئاً ! ولقد كدر الاحساس بوجود هذا الشيء صفو أمسيتي، وراح يحاول الإتيان على الأريحية التي (تلبستني)، وأنا أدعو هذه المجموعة من الضيوف على طاولتي.

بحركة رشيقة لفت شالاً أبيض ذا أهداب حول رقبتها لفتين، فتدلى طرفاه على صدرها، فصارت

أقرب الى هيئة رسامة، أو متظاهرة من جماعة (السلام الأخضر). خلصت شعرها الكستنائي من لفتي الشال وتركته ليعاود الانسياب على مرفئه القديم، زورقاً تملؤه حبات البن، ورائحة القهوة تتخلل زبد البحر، لتنتشي النوارس والأسماك والحوريات.

جلست تناولت علبة سجائري واستلت سيجارة منها، فاستلت منها شوكة من أشواك الغيرة التي أدمت (ميانة هانس) بها قلبي.

نظرتها الحالمة التي تابعت حلقات الدخان المتصاعدة، وتلك الانفراجة الرقيقة على شفتيها تنبئان بروح حالمة وقلب ينطوي على شيء من أسرار جمال الفجر والأصيل)) (٣٤)

للثقافة أشكال وأنواع. فكل شيء في الكون يجب أن يحمل لمسة من ثقافة، ويعتمد ذلك على مؤهلات عديدة منها الذوق العام والاطلاع وغيرها من الامور. فالكاتب في هذا النص رسم صورة لفتاة المانية. صادفها أثناء رحلته للعلاج هناك. اعجب بها وبطبيعتها العفوية وما تحمله من ذوق وثقافة في تعاملها مع الأنسان. إذ أهم ما يميزها أنها فتاة غير متكلفة ولا متصنعة في تأدية واجباتها وعملها. فتاة حالمة تتعايش مع الواقع وتتكيف معه بكل تناقضاته. لذلك قدمها الكاتب بصورة أنيقة تعجب المتلقي وتلفت انتباهه. وتجعل عنده نوعاً من الرغبة والطمع في رؤيتها والتعامل معها.

ومن الصور الأخرى التي قدمها الكاتب في أعماله عن المرأة المثقفة ما نجده في رواية (اسراب القطا) إذ يقول فيها: ((خرجت من الدار مسرعة وكادت أن تصطدم به، فتراجع الى الخلف مسرعاً معتذراً. وقفا متقابلين ثواني، نظرت في أثناءها في عينيه بإمعان. ثم هزت رأسها، وكأنها ترد على اعتذاره، وطيف ابتسامة يتراقص على شفتيها. ذهل وأحس كأنه يسبح في فضاء لا حدود له. لم يستطع أن يلتقط شيئاً واضحاً من ملامحها، إلا النظرة المتفحصة وطيف الابتسامة الراقص وتأجاً، يعلو جبهتها، لم يدر أمن ذهب هو أم من نحاس !

وفي أثناء ذهوله ظلت عيناه معلقتين بها،تتابعان خطواتها الرشيقة الوئيدة، التي راحت تتنقل على قلبه، وقد صار بساطاً تحت قدميها. وقفت عند بيت الخالة أم سعودي، وواصل هو مسيره الى الشارع الرئيس مشتت البال. أرجأ زيارة عمه الذي لا شك في أنه سيعاتبه إن لم يرجئ زيارته في مثل ذلك الظرف.

وكأن ما استطاع التقاطه من ملامحها، على الرغم من بساطته كافياً لأن ينبئه بأنها غريبة عن دنياه، إذ ليس بنات المحلة من يشرق الفجر مع ابتسامتها أو يعطل بريق عينيها قوانين الوعي، ويلغي حدود الإدراك.

لم يبق من الإجازة شيء يذكر، فصار لزاماً عليه أن يستثمر الوقت. بعناية ودقة عاليتين، فسلك سبيلين، أولهما التقاط ما يتاح من معلومات، عبر طرح تساؤلات غير مباشرة، والأخرى الاستعانة بصديق عمره وجاره عدنان ياسين، فتجمعت لديه باقة من المعلومات، أولاها أن أهلها استأجروا بيتاً في

الزقاق منذ شهر، قادمين من الجنوب، وأن الأب تاجر حبوب سابق، خسر أمواله ولم يخسر سمعته الطيبة. وإن اسم الفتاة (ولاء) كانت عائلة مميزة بحق. كل شيء فيها يوحي بالرفعة والرقي.... الملبس واسلوب التعامل وطريقة الكلام.

ثلاث بنات هي الوسطى بينهن. الكبرى معلمة متزوجة، استأجرت بيتاً في المحلة نفسها، والصغرى طالبة في المرحلة المتوسطة، أما هي فموظفة في وزارة العدل)) (٣٥)

لوحة فنية جسدها الكاتب في النص السابق. وهو يصف هذه الفتاة المثقفة، إذ نجد في سياق الكلام صدق المشاعر وحرارة الأحاسيس وهو يروي للقارئ ما شاهده في هذه المرأة التي تعلق بها قلبه وكيانه. فنلحظ قدرة الكاتب وتفوقه وهو يعبر عنها بعبارات بلاغية رائعة جداً فمثلاً (طيف ابتسامة يتراقص على شفتيها) فنرى هنا صورة بلاغية تبين للقارئ مدى الإعجاب والذهول الذي أصابه عنما رآها. وكذلك نجد قوله (يسبح في فضاء لا حدود له) للدلالة على التيه الذي أصابه نتيجة ما رآه من جمال خارق للعادة. وكذلك صورة أخرى بقوله (راحت تتنقل على قلبه، وقد صار بساطاً تحت قدميها) من شده لهفته بها صار لا يلتفت لما حوله من أشياء.

لذلك نجد براعة الكاتب وقوة اسلوبه وجمال عباراته هو يدون وينقل للمتلقي. والتي تدل على آنية الكتابة ولحظيتها. فهي صورة ذات محتوى راق ومميز. عميقة الدلالة ز عفوية في ألفاظها دون تزويق أو تكلف.

سادساً: صورة المرأة البسيطة

من الصور التي أثارت القارئ. وركز عليها في أعماله. هي صورة المرأة البسيطة العفوية. المرأة التي لا تعرف الحقد والأنانية. امرأة فطرية تتعامل مع الناس على طبيعتها دون مواصفات مكتسبة ومصطنعة.

فمن الصور التي أوردها الكاتب في نتاجاته كمثل للمرأة العفوية البسيطة ما نجده في مجموعة (امنيات معطلة) القصصية. إذ يقول فيها: ((اعتادت كبيرات السن من نسوة المحلة في فصل الصيف. أن يتخذن مجالس في الأزقة عصراً،اتقاء لحرارة أجواء البيوت، بعد أن تقوم الصبايا بكنس الفسحات أمام الأبواب ورشها بالماء، ثم تهيئة (المنادر والجودليات) استعداداً لانعقاد تلك المجالس التي نالت بعضها شهرة لا تقل عما ناله صالون (مي زيادة) من صيت نصيب زقاقنا من هذه المجالس أربعة، توزعت على طوال الزقاق، بشكل ضمن اشتراك أكبر نسبة من نسوته فيها. المجلس الأول هو مجلس الحاجة ظعينة أم محمد شيحان، التي كان مغزلها من مستلزمات الجلسة. وقطب ارحى فيه عمتي (زهرة) زوجة عمي (علاوي) التي نسبت إليه فعرفت ب (زهرة العلاوي) ذات الروح المرحة الرضية والطرف الفطري. والتي تخلب الألباب. وهي تروي مفارقات حياتها حين كانت تشدد عمي الديني وتزمته، تشاركها في المجلس ثلاث عضوات دائميات، فضلاً عن عضوات شرف يسهمن من حين لآخر في الجلسات.

والمجلس الثاني هو مجلس الحاجة (حسيبة الجاسم) ذات الهيبة والنزعة القيادية والدهاء والسحر الذي رسم هالة حول وجهها الأبيض المكتنز. أما المجلس الثالث فهو مجلس الحاجة (شاهة) أم ناصر، التي أقل ما يقال عنها أنها (شيخة). طيبة وسماحة وقوة شخصية وطلاقة لسان. وجوهرة هذه المجلس هي (فحل التوث) ابنة أختها (أم مثنى)، التي سكنت حديثاً في الطرف..... أما المجلس الرابع فهو مجلس أم حسن زوجة الحاج (علي البلوك) وهو أقل المجلس بهاءً مجلس متواضع بسيط، ولكنه أكثر نتائج في مجال رصد الأحداث وتحليلها)) (٣٦).

صورة رائعة رصدها الكاتب عن هذا النوع من النساء وقدمها للمتلقي بطريقة فنية مشوقة تجذبه وتشده الى متابعة القراءة. وما ستؤول اليه الأحداث. وهذا هو جوهر العمل الروائية، إذ من مميزات الكاتب الناجح هو إضفاء عنصر التشويق والمفاجأة على عمله. ليتم بذلك شد القارئ والابتعاد عن الروتين والملل.

فنلحظ أن الكاتب رصد عدد من النسوة صاحبات الروح الفطرية المرحة. ليسلط الضوء عليهن وما يمتلكنه من روح فطرية مرحة تتسم بالحب والحياة. فهذا النوع من النساء تجدها تتغير مع كل موقف يمر بها. فعندما يتطلب منها الموقف القوة والشجاعة والعزم. تقف وتأخذ حقها وتدافع عن نفسها ومن حولها، ولكن سرعان ما تتغير لتتحول الى الام الرؤم الحنون التي تملأ الارض بالعطف والرحمة.

ومن الامثلة الاخرى التي وجدناها في الاعمال التي درسناها للكاتب. صورته في رواية (اسراب القطا) إذ يقول ((سمع صوتاً ناعماً يناديه بحياء:

سيد صبار

التفت فإذا ابنتا سيف الدين ولائي تقفان على مقربة منه، فنهض مسرعاً والاهتمام باد على وجهه.

.....أيمكن أن يحدث هذا ؟ ! أيمكن أن تحدثني ابنتا السيد سيف الدين ولائي على مرأى أهل المحلة، ونحن لم يسبق لنا أن تبادلنا السلام حتى في الأعياد ؟!

– صباح الخير.. سيد صبار !

– صباح الخيرات.. أهلاً وسهلاً !

– هل تعرفنا ؟

– نعم حق المعرفة ! ابنتا عمنا أبي جاسم. لست متأكداً من الأسماء. والدكما هو عمنا الذي نحترمه ونجله، وشقيقكما جاسم أخ عزيز.

قالت الكبرى:

أنا اكرام وهذه فريال.

قالت فريال بمرح:

أنا الصغرى بين إخوتي والاحب عند والديَ.

– تشرفنا !

رمقتها اختها بنظرة حادة. ولكنها لم تتراجع عن مرحها وابتسامتها. وهي تقول بدلال:

لدي شكوى رجاء.

جاراها في المرح فقال مبتسماً:

أما الشكوى، فإني اعتذر مقدماً عن سببها حتى وان لم تكن لي علاقة بالأمر، وأما الرجاء فإنه أمر وليس رجاءً.

قالت اكرام برصانة.

هذا هو عهدنا بك، فأنتم نعم الجار والاخوان !

ولم نجد منكم أو نسمع عنكم الا الخير، والأمر مسألة بسيطة، لا تتعدى كونها طيش شباب.

بدأ التوجس والارتياب واضحين على محياه، فأسرعت فريال بالقول:

إنه أجود... أخذ يسمعني كلما رآني كلاماً، وأنا أخشى أن يتمادى. رجوته بأدب أن يكف عن محاولاته.... والله إنه شاب رائع، تتمناه أي فتاة، ولكن ليس بهذه الطريقة.

نظرت إليها اختها بغضب، فقالت مبتسمة: هل قلت شيئاً معيباً ؟ الكل يقول إنه شاب رائع. تصور يا سيد صبار سألته: (لماذا لست مثل أخيك صبار ؟) فقال ضاحكاً: (سيندم يوماً لأنه ليس مثلي) ! ابتسم ونكس رأسه، ثم قال بخجل: امسحيها بوجهي، ولن يتكرر هذا، وأرجوا قبول اعتذاري. والله أنا لا أستطيع النظر في وجهيكما:)) (٣٧).

وضح الكاتب في النص أعلاه صورة المرأة العفيفة. التي رسمت شخصيتها بعفوية فطرية. دون عناء أو تكلف. فهي شخصية مرحة تنشر البهجة والسرور في نفس كل من يلتقي بها أو يحاورها. لذلك وقعت حسناً في نفس الكاتب. فقدمها للقارئ كمثالاً للمرأة الحقيقية. فنجد أن هناك تناغماً وانسجاماً بين الكاتب وهاتين الفتاتين.وكأن هناك خيوطاً للتواصل بينهما منذ زمن بعيد. لذا صار النص يتسم بالرصانة والتماسك وقوة العبارة. مما يجعل القارئ منجذباً إليه متشوقاً لمعرفة نهايات القصة.

الخاتمة

في نهاية كل عمل لا بد من وجود نتائج. خرج بها الباحث وتعد جوهر العمل. وفي ختام عملنا هذا نستطيع التوصل الى أهم القضايا التي ركز عليها الكاتب في نتاجاته الأدبية التي قمنا بدراستها.

١-ركز الكاتب على صورة المرأة القوية. التي تستطيع الجمع بين العمل والبيت في آن واحد. فهي امرأة صاحبة عزيمة وقوة وإصرار في كل المواقف التي تتعرض لها.

٢-بين الكاتب صورة المرأة الجميلة أو كما أسميناها الصورة الغزلية. وفي هذه الحالة يكون الاعجاب سري من طرف واحد. دون معرفة الشريك بهذا الحب والهيام ز فهو مجرد إعجاب فقط.

٣-كذلك أظهر الكاتب صورة المرأة الحبيبة. وهي التي يبوح لها بحبه ومشاعره وأحاسيسه. ولكن القدر في بعض الأحيان يحول دون تجسيد هذا الحب والزواج منها.

٤-وجدنا أيضاً صورة المرأة الكادحة العاملة. إذ نظر الكاتب لهذه المرأة بعين القداسة والطهارة. فهي امرأة أخذت على عاتقها تكوين الأسرة بمفردها. لذلك عملت شتى أنواع العمل الشريف في سبيل تحقيق غايتها.

٥-صورة المرأة المثقفة. تحدث الكاتب عن هذه المرأة بعين الإعجاب والقبول والرضى. فهي

امرأة ترمز للحياة والثقافة والأمل. تجمع العديد من الخصائص والسمات في آن واحد.

٦-صورة المرأة البسيطة. صاحبة الشخصية القوية العفيفة. فهي امرأة فطرية لا تعرف الحقد والكراهية. تتعامل مع جميع الناس حولها بفطرتها وانسانيتها النقية.

الهوامش

١-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (صور) -ج٢/ ٤٢١

٢-لسان العرب،ابن منظور، مادة (صور) ج٧/ ٤٣٨

٣-الحيوان، الجاحظ،ج٣/ ١٣١-١٣٢

٤-نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ٦٥ - ٦٦

٥-إصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ٢٤٢

٦-المصدر نفسه،٢٥٩

٧-ينظر،المصدر نفسه، ٩٤٤

٨- تحولات السرد في الرواية العربية، ابراهيم العسافين، ١٣٨

٩- المرأة في روايات سحر خليفة، ١٨

١٠- مفكرة رجل أمي، د، جبير صالح حمادي، ٣

١١- البربري وخضراء العينين،د. جبير صالح حمادي،١٣٣

١٢- مفكرة رجل أمي، ٢٤

١٣- المصدر نفسه، ١١١ - ١١٣

١٤ - المصدر نفسه، ١٢٨

١٥- امنيات معطلة، د. جبير صالح حمادي، ١٠ - ١١

١٦ - سورة الروم (٢١)

١٧- سورة النساء (٣٢)

١٨- سورة البقرة (٢٢٨)

١٩- ديوان أمرؤ القيس

٢٠ - ديوان جرير

٢١- مفكرة رجل أمي: ٧

٢٢- سورة الروم (٢١)

٢٣-مفكرة رجل أمي، ١٤٠ - ١٤١

٢٤-البربري وخضراء العينين، ٧٧

٢٥-مفكرة رجل أمي، ٤٩

٢٦- البربري وخضراء العينين: ١٣٢

٢٧، الثقافة البدائية، أدوارد تايلر

٢٨- ينظر مقال للدكتور مساعد بن سعيد آل بخات بعنوان من هو المثقف،

٢٩-الشخصية في روايات علي بدر،محمد رضا كريم،٢٤٦

٣٠،تمثلات المثقف في السرد العربي،د، محمود محمد أملوده،٦٣

٣١- مفكرة رجل أمي، ١٣٠- ١٣١

٣٢- البربري وخضراء العينين، ١٤٧

٣٣- اسراب القطا، د. جبير صالح حمادي، ٥٤

٣٤- امنيات معطلة، ١٠١ - ١٠٢

٣٥- اسراب القطا، ١٠٠ - ١٠١

المصادر

*القرآن الكريم

١-اسراب القطا، د. جبير صالح حمادي، رواية تحت الطبع.

٢- اصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ط١، ١٩٤٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٣-امنيات معطلة، د. جبير صالح حمادي، دار الينابيع،دمشق، سوريا، د. ت، د. ط،

٤- البربري وخضراء العينين، د. جبير صالح حمادي، ط١، ٢٠١٢، مطبعة أمل الجديدة، دمشق، سوريا.

٥-تحولات السرد في الرواية العربية، أحمد العسافين، دار الشروق للتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٦ز

٦-تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث، د. محمود محمد أملود، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

٧-الثقافة البدائية، ادوارد تايلر، لندن، ١٩٢٥

٨- ديوان أمرؤ القيس، ط٥، دار المعارف، د. ت

٩-ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩١، د.ت

١٠-الشخصية في روايات علي بدر (دراسة فنية) محمد رضا كريم،اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، اشراف. أ د. علي عبدالرزاق السامرائي.

١١-كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق. عبدالسلام هارون، مطبعة البابي الحلبي واولاده، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥.

١٢-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي،مادة صور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

١٣- لسان العرب، ابن منظور، مادة صور، دار صادر، بيروت، ط٣

١٤-المرأة في روايات سحر خليفة، غدير رضوان،رسالة ماجستير، اشراف محمود العطشان، كلية الآداب، جامعة بيرزنت، ٢٠٠٦.

١٥-مفكرة رجل أمي، د. جبير صالح حمادي، ط١، ٢٠٠٦، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الجامعة العراقية، بغداد.

١٦-من هو المثقف، مقال منشور على شبكة الإنترنت، للدكتور مساعد بن سعيد آل بخات.

١٧-نقد الشعر، قدامة بن جعفر، المطبعة المليجية، مصر، ١٩٣٤.